Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (1) July(2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

الرؤية الروحية والبعد الإيماني في شعر الطغرائي: مقاربة تحليلية

مدرس مساعد داليا عباس علي

جامعة الأنبار/كلية التربية القائم

The Spiritual Vision and the Faith Dimension in Al-Tughra'i's Poetry: An Analytical Approach

Dalia Abbas Ali Assistant Lecturer
University of Anbar / College of Education, Al-Qa'im
dalia.abbas.a@ uoanbar. edu.iq

الملخص

يُعالج هذا البحث واحدًا من أهم الأنساق الموضوعية في الشعر العربي، وهو الاتجاه الديني، من خلال مقاربة نقدية متأنية لتجربة الشاعر الفيلسوف الطغرائي (ت، ٥١٥هـ)، الذي مثّل في شعره صوتًا روحيًا ينهل من معين العقيدة الإسلامية، ويتخذ من الشعر وسيلة للتعبير عن رؤية دينية أخلاقية تنزع إلى المطلق، وتحتفي بالقيم الإيمانية بوصفها بوصلةً للذات في مسيرتها الوجودية المتقلّبة.وقد سعى هذا البحث إلى استكشاف كيف تبلور الاتجاه الديني في شعر الطغرائي، من حيث المضمون والرؤية والتشكيل الفني، مستندًا إلى منهج تحليلي موضوعي يرصد بنى المدائح الدينية، والنزعة الحكمية ذات الأصول الشرعية، والتأملات الوجودية في الموت والزمن والتوبة والعدل الإلهي، وصولًا إلى استجلاء الرؤية الأخلاقية العميقة التي تتسرب من خلال الخطاب الشعري وتمنحه بعدًا معرفيًا وروحيًا متماسكًا.أظهرت الدراسة أن الطغرائي لم يكن شاعرًا تقليديًا يُعيد إنتاج أغراض المدح والوعظ بنَفَس خافت، بل كان واعيًا بمفهوم "القول الشعري" بوصفه فعلًا معرفيًا وجماليًا، يُعيد من خلاله ترتيب العلاقة بين الإنسان والخالق، وبين الذات والمصير، فالدين في شعره ليس زخرفًا لغويًا، بل تجربة وجودية تستبطن الإيمان بوصفه قلقًا يقود إلى اليقين، ومساءلة تنتهي إلى الخضوع للعقل الإلهي، والاعتراف بضعف الإنسان أمام إرادة السماء.وقد تمحورت أبرز مفاصل هذا الاتجاه في شعره حول مدائح الأئمة، ومواقف التأمل في المصير والموت، ومشاهد الزمن المتحوّل، إلى جانب صياغات عميقة لمفاهيم الحِلم، والتوبة، والقناعة، والزهد، وقد جاءت كلها مصوغة بأسلوب شعري مُحكم، يعكس خبرة لغوية راقية، ومخزونًا معرفيًا مستمدًا من ثقافته الدينية والفلسفية الواسعة.أما على المستوى الفني، فقد تميز شعر الطغرائي بتوظيف الأساليب البلاغية ذات البعد الرمزي والتأويلي، وابتعد عن المباشرة والوعظ التقليدي، وبدلًا من ذلك، بنى خطابه الشعري على التحول من الخبرة الشخصية إلى الرؤية الكونية، موظفًا الصور الشعرية والإيقاع الداخلي في تجسيد التوتر بين الظاهر والباطن، وبين المعاناة والإيمان.لقد بيّنت الدراسة أن الاتجاه الديني في شعر الطغرائي ليس مجرد غرض طارئ، بل نسقٌ بنيوي عميق يُعبّر عن تديّن عقلاني، يجد في الشعر وسيلةً لتزكية النفس، وتهذيب السلوك، وتأمل الحقائق الكونية الكبرى، وهو ما يجعل من هذه التجربة نموذجًا شعريًا فريدًا، يُعيد موضعة الشعر الديني ضمن أفق فلسفي وجمالي يُحاور الذات، والآخر، والمطلق بلغة محمّلة بالصدق والتجربة والنفَس التأملي العميق.

Abstract

This study examines one of the key thematic patterns in Arabic poetry: the religious tendency, through a focused critical analysis of the poet-philosopher al-Ṭughrāʾī (d ،515 AH) ،His poetry embodies a spiritual voice rooted in Islamic belief, employing verse as a medium for expressing a religious and ethical vision aspiring toward the absolute and emphasizing faith-based values as a guiding compass for the self.The research explores how the religious tendency is manifested in al-Ṭughrāʾī's work in terms of content, vision, and artistic form, following an objective analytical method ،It highlights the structures of religious praise, the wisdom tradition with legal roots, and existential reflections on death, time, repentance, and divine justice, ultimately revealing a deep ethical consciousness embedded within his poetic discourse.The study shows that al-Ṭughrāʾī was not a traditional preacher-poet but a conscious artist who viewed "poetic utterance" as a cognitive and aesthetic act, reshaping the relationship between man and the divine ،Religion in his poetry emerges not as decoration, but as

a profound existential experience, transforming anxiety into certainty and submission to divine will.Key themes include eulogies of the Imams, meditations on fate and mortality, the mutability of time, and profound reflections on virtues such as forbearance, repentance, contentment, and asceticism ،His work is marked by sophisticated rhetorical devices, symbolic imagery, and an internal rhythm that convey the tension between external and internal realities.Ultimately, the study concludes that the religious tendency in al-Ṭughrāʾī's poetry constitutes a deep structural pattern reflecting a rational, contemplative religiosity ،His poetry offers a unique model that elevates religious verse into a philosophical and aesthetic dialogue with the self, the other, and the Absolute.

مقدمة

يُعدّ الاتجاه الديني في الشعر العربي أحد أبرز الأنساق التعبيرية التي تكشف عن عمق التجربة الوجدانية للشاعر العربي، وتمثّل امتدادًا لتقاليد أصيلة في بنية القصيدة، تمتزج فيها الروح باللفظ، ويتعانق فيها الجمالي بالقدسي، وإذا كان الشعر العربي قد عُرف بتنوع أغراضه وتعدد تمظهراته الأسلوبية، فإن الاتجاه الديني ظل حاضنًا للبعد الروحي في الذات العربية، مُجسِّدًا شغفها بالمطلق، وتوقها إلى الخلاص، وسعيها إلى التعبير عن العلاقة بين الإنسان والخالق من خلال لغة موشّاة بالإشراق، مشحونة بالصدق والانفعال العميق.وفي هذا السياق، تبرز تجربة الطغرائي (ت، ٥١٥هـ) بوصفها مثالًا متفرّدًا على التماهي بين البيان الديني والرؤية الشعرية الفلسفية، حيث تتجلى في شعره ملامح التصوف الأخلاقي، والتأمل الوجودي، والإنشاد التوجهي نحو القيم الروحية، إذ لم يكن الطغرائي مجرد شاعر مدّاح أو ناظم للمديح التقليدي، بل كان صاحب رؤيا، يسعى من خلال قصائده إلى ترسيخ جملة من القيم التي تستمد مشروعيتها من الدين، وتستقي بلاغتها من البيان العربي، وتنهل إشراقها من التجربة الشخصية التي اختلط فيها الألم بالمعرفة، والحرمان باليقين.وتأتي هذه الدراسة لتكشف عن ملامح الاتجاه الديني في شعر الطغرائي، من خلال رصد مكوناته الموضوعية وتجلياته الفنية، سواء في نصوص المدائح الموجَّهة للأئمة، أم في المقاطع التي تعالج قضايا العقيدة، والحكمة، والزمان، والمصير، وهي لا تقف عند حدود التصنيف الموضوعي، بل تتوخى النفاذ إلى البنية الفنية للقصيدة الطغرائية، لاستكشاف كيف تُنحت الروح في اللغة، وكيف يُجسّد الإيمان في المعمار البلاغي، وكيف يُعاد إنتاج المعنى الديني في ضوء تجربة ذاتية مخصوصة، يتداخل فيها التأريخ بالحكمة، والشعور بالمعرفة، والرمز بالتصريح.وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تُعيد الاعتبار إلى صوت شعري قلّما نال ما يستحق من التمحيص النقدي في ضوء نسقٍ موضوعي بعينه، وهو النسق الديني، الذي يُعدّ لدى الطغرائي ليس مجرد غرض شعري، بل رؤية كونية تُعبّر عن موقف وجودي شامل، كما تسعى الدراسة إلى تأكيد حضور القيم الإسلامية في الشعر العربي بوصفه خطابًا جماليًا وفلسفيًا، لا مجرد تقعيد وعظي مباشر، مما يُعيد قراءة شعر الطغرائي من زاوية فنية فاحصة، تُماهي بين المضمون العقدي والمبنى البلاغي.وقد اعتمدت الدراسة منهجًا تحليليًا موضوعيًا فنيًا، ينطلق من النص ليؤول البنية الدلالية والرمزية فيه، مع ربط هذه البنية بالسياق الثقافي الذي صدر عنه الطغرائي، بوصفه شاعرًا، وعالمًا، ومفكرًا، عاش في عصر تتقاطع فيه الأسئلة السياسية بالانشغالات الروحية، وهي بذلك تسهم في فتح أفق جديد في قراءة شعر الطغرائي، وتضعه في موقعه الطبيعي ضمن الخارطة الشعرية العربية، لا بوصفه صدى لتقاليد المديح، بل كمجدد في تشكيل الرؤية الدينية ضمن قالب شعري ينضح بالحكمة والتأمل والبلاغة العالية.الرؤية الروحية والبعد الإيماني في شعر الطغرائي يندرج الاتجاه الديني ضمن أبرز التيارات التعبيرية في الشعر العربي، بما يعكس التفاعل العميق بين التجربة الوجدانية والبعد العقدي، فهو لا يقتصر على مضامين التوحيد والتزكية والمناجاة، بل يقوم على دمج الحس الإيماني بالبناء الجمالي للقصيدة، وقد رأى زكي مبارك أن هذا الاتجاه نشأ في بدايات العصور الإسلامية، معتبرًا الشعر الصوفي أرقى تجلياته، لما يحمله من صدق وجداني وصفاء تعبيري ينبثق من ذات متبتلة تستبطن المعنى الديني بعمق فني.[١] في صدر الإسلام، اتخذ الشعر بعدًا تبليغيًا، مسهمًا في تعزيز القيم الدينية، كما يتجلى في شعر حسان بن ثابت الذي نهل من روح الوحي دفاعًا عن الرسالة، وحتى في نماذج لا تُعد دينية بالمعنى المباشر، كابن زيدون، تبرز أحيانًا إشارات عقدية تعكس انتماءً حضاريًا واضحًا، وإن لم تكن منطلقًا رئيسًا في تجربته.[٢]مع امتداد التاريخ، وبخاصة منذ القرون الوسطى، ترسّخ الاتجاه الديني نتيجة لتحوّل الدين إلى بُنية مهيمنة في الثقافة العربية، وقد أفرز هذا التداخل نماذج شعرية عميقة، كما في تجربة محمد المهدي المجذوب، الذي استلهم الوجدان الصوفي، وعبد الرحمن الشرقاوي، الذي صاغ إيمانه بلغة ترتبط بالعدالة والموقف الإنساني.(٣) في العصر الحديث، لم يختفِ هذا الاتجاه، بل أعيد إنتاجه في صيغ تأملية أكثر انفتاحًا، كما في بعض قصائد محمود درويش، حيث تحضر الرموز الدينية بوصفها أدوات فلسفية لتمثيل الإيمان، دون الوقوع في المباشرة أو النمط الوعظي، مما يُؤشر إلى انتقال الدين من موقع الخطاب إلى فضاء التأويل داخل بنية الشعر.[٤] تاريخيًا، شكّل الشعر الديني في العصور الإسلامية الأولى مرآةً للحب الإلهي والولاء الروحي، حيث عبّر الشعراء عن مشاعر التقدير والتبجيل لله، وللأنبياء، وللمقامات المقدسة كالمسجد الحرام والمسجد

النبوي وبيت المقدس، وقد اتّسم هذا الشعر بلغةٍ شاعرية شفافة تُجسّد الجمال الروحي وتجليات العرفان الإلهي.في العصور الوسطى، اكتسب الشعر الديني وظيفة تربوية وأخلاقية، متجاوزًا حدود التعبير الفردي إلى أداء اجتماعي يرسّخ القيم الإسلامية، فاستثمر الشعراء بلاغة الخطاب والحكمة والقصص القرآني لبناء وعي جمعي يستند إلى مفاهيم التقوى والصلاح، أما في العصر الحديث، فقد حافظ هذا الاتجاه على حضوره، مع انفتاحه على قضايا الإنسان المعاصر، مستجيبًا لتحولات الوعي ومؤكدًا على مركزية الأخلاق والالتزام الروحي كمسار للحياة اليومية.[٥] يتّسم الشعر الديني بثراء موضوعاته وتعدّد أبعاده التعبيرية، من تسبيح الذات الإلهية ومديح الأنبياء وتعظيم المقدسات، إلى الدعوة للتوبة والعبادة، ويكشف هذا التنوّع عن عمق الشعور الروحي، حيث تتجلّى العلاقة بين الشاعر والخالق في لغة مشحونة بالإيمان، تنبع من صدق التجربة وتُترجم إلى بنية شعرية تتسم بالصفاء والحرارة الوجدانية.[٦]رغم طابعه الإيماني الصريح، فإن الشعر الديني يتجاوز الإطار العقائدي الضيّق، ليستقطب وجدان المتلقي الإنساني عمومًا، فهو يحمل شحنة روحية وتأملية تجعله جزءًا أصيلًا من التراث الشعري العربي، قادرًا على إثارة أسئلة أخلاقية ووجودية تنفتح على أفق إنساني شامل، دون أن يُقيدها الطابع الوعظي أو المباشر.وباختصار، يُجسد الاتجاه الديني في الشعر العربي نزوعًا نحو المطلق، وسعيًا حثيثًا إلى الاتصال العميق بالله والقيم السماوية، معبّرًا عن التفاني الروحي والوجداني في أرقى صوره، ويُسهم هذا الاتجاه في ترسيخ البُعد الروحي للثقافة العربية، مُعززًا لحس التأمل والتزكية الذاتية، سواء في بعدها الديني أو الإنساني العام.

أولا: الثناء على الأئمة يُعدّ مدح الأئمة أحد أبرز أشكال الشعر الديني في الثقافة العربية الإسلامية، حيث يعكس تقديرًا عميقًا لمكانتهم الروحية والأخلاقية والعلمية في الضمير الجمعي، وقد تجاوز هذا المدح الإشادة الفردية، ليصبح ممارسة رمزية تتماهى فيها القدوة الدينية مع النموذج الشعري، وتتداخل فيها القيم العقدية مع الحس الجمالي، ما يمنح النص بعدًا وجدانيًا مشبعًا بالإخلاص والسمو.[٧]ارتبط مدح الأئمة والزعماء الروحيين بعمق في التجربة الشعرية العربية، حيث خصّص عدد من كبار الشعراء قصائد لتخليد فضائل الإمام علي وأبنائه وأعلام أهل البيت، وقد امتاز هذا الشعر بجماليات لغوية عالية، وظّفت البلاغة والمبالغة الفنية لتعزيز صورة الإمام كرمز للعدل والحق، مستلهمة محطات تاريخية مركزية كاستشهاد الإمام الحسين ومعركة الطف، ومن أبرز من عبّر عن هذا الاتجاه حديثًا، محمد مهدي الجواهري الذي نسج قصائده بلغة نابضة بالانتماء، ومحمد مغربي الذي منح القصيدة بُعدًا وجدانيًا ملتزمًا.[٨] تبلور مدح الأئمة منذ البدايات الإسلامية، مع ازدياد رسوخه في القرون الوسطى والحديثة، حيث غدا الإمام رمزًا متكاملًا للهداية الدينية والمعرفية، وقد شكّلت خصاله من ورع وعدل وزهدمصدر إلهام للشعراء، الذين عبّروا عن تقديرهم بلغة مشبعة بالعاطفة والإجلال، مما جعل من هذا الاتجاه جزءًا جوهريًا من الوعي الشعري والديني العربي(٩)"روى المسعودي في مروجه، وروى أبو الفرج في أغانيه بإسناده عن إبراهيم بن سعد الأسدي قال: سمعت أبي يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام فقال من أي الناس أنت؟ قلت من العرب، قال أعلم فمن أي العرب؟ قلت من بني أسد، قال من أسد بن خزيمة؟ قلت نعم، قال أهلالي أنت؟ قلت نعم، قال أتعرف الكميت بن زيد؟ قلت نعم يا رسول الله إنه عمي، قال أتحفظ من شعره؟ قلت نعم، قال أنشدني طربت وما شوقا إلى البيض أطرب قال فأنشدته حتى بلغت إلى قوله

فما لي إلا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب

فقال لي إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له قد غفر الله لك بهذه القصيدة"،[١٠] ومن هذا النص نجد أهمية هذا الحقل من الشعر وهذا الاتجاه الذي أحبه الرسول وغفر لشاعره كل ما فات من خطايا،

٣-١-١، الإشادة بآل البيت[١١]الروي: دال، دالية الوزن: كامل

اليهود لآل موسى طاهر وولائهم لبني أخيه باد

وإمامهم من نسل هارون الألى بهم اهتدوا ولكل قوم هاد

وأرى النصارى يكرمون محبة لنبيهم نجرا من الأعواد

وإذا توالى أل أحمد مسلم قتلوه أو سموه بالإلحاد

هذا هو الداء العيي بمثله ضلت حلوم حواضر وبوادي

لم يحفظوا حق النبي محمد في آله والله بالمرصاد

يفتتح الشاعر هذه المقاطع بإبراز مفارقة دينية وثقافية ذات دلالة عميقة، إذ يشير إلى تمسك أتباع الديانات الأخرى، كاليهود والنصارى، بأئمتهم ورموزهم الروحيين، فيُظهر كيف يُعظّم اليهود آل موسى ويجلّون نسل هارون، ويُبرز كيف يُبدي النصارى حبهم العميق لنبيهم عيسى عليه السلام، حتى في مظاهرهم الشعائرية، كصليب النجارة المرفوع على الأعواد.ثم ينتقل الشاعر إلى نقد الواقع الإسلامي، مفصحًا عن حالة من الانقلاب القيمي، حيث يُقابل حب آل محمد واضطهادهم، بما يكشف عن أزمة حضارية وأخلاقية في الأمة، ويُشير إلى أن الأئمة من آل النبي، حين يظهرون ويواصلون حمل الرسالة، يُجابهون بالتكفير أو التهم الباطلة، ما يدل على تشوه في الوعي الجمعي وخلل في المواقف الدينية.ويُختتم بدلالة تأملية تنطوي على إدانة لهذا الانحراف، حيث يرى الشاعر أن ما يحدث من جفاءٍ تجاه أهل بيت النبوة ليس إلا "داء عيّ"، أي عجزًا معرفيًا وقيميًا، وقد ضلت فيه الحلوم، سواء في الحواضر أو البوادي، ما يعني أن هذا الضياع ليس طارئًا بل شاملًا، ويؤكد في ختامه أن الله تعالى، بصفته الرقيب المطلق، حاضر يراقب هذا الخلل، في تلميح إلى العدالة الإلهية القادمة، وإلى ضرورة استرداد الحق لأهله، ورفع الغفلة عن الأمة.

ثانيا: تمجيد مشايخ الدين يُعد مدح الشيوخ من أقدم الأغراض في الشعر العربي، حيث شكّل وسيلة أدبية رفيعة للتعبير عن الإجلال لشخصيات مثل الأعيان والحكماء، الذين مثّلوا قيم السيادة والمروءة، وقد نشأ هذا الاتجاه منذ العصر الجاهلي مع مدح زعماء القبائل، واستمر عبر العصور الإسلامية وما بعدها، مؤكدًا حضور الشيوخ كرموز للحكمة والخبرة، ومجسدًا القيم الاجتماعية في الوعي العربي الجماعي،[١٢] وقد أدرك الشيوخ ما للشعراء من سلطة فنية مؤثرة، تضاهي عزف الرباب في تأثيره العاطفي، مما دفعهم إلى إكرام الشعراء اتقاءً لهجائهم وضمانًا لولائهم، وهكذا اكتسب الشعر بعدًا اجتماعيًا ومعنويًا بارزًا، فكان مدح الشيوخ انعكاسًا لمكانتهم بين التمجيد أو النقد في المخيال العربي[١٣]برز في هذا الغرض عدد من الشعراء، مثل طرفة بن العبد الذي مدح شيخه الأشجعي، وابن زيدون الذي أنشد في شيخه الزيتوني، كما كتب أحمد مطر قصائد مديح لبعض الشخصيات، رغم غلبة الطابع النقدي على شعره، وفي العصر المعاصر، خصّ نزار قباني شيخه الأكبر شمس الدين بقصائد احتفائية محدودة مقارنة ببقية إنتاجه.أما في ديوان الطغرائي، فيُلاحظ غياب واضح لمدح الشيوخ، مما قد يعود إما إلى عدم معالجته لهذا الغرض أصلًا، أو إلى نقص في استقراء الديوان، وهو احتمال يقر الباحث به تواضعًا، ويبدو أن الطغرائي، بطبيعته الفكرية وانشغالاته بالحكمة والتأمل، قد ابتعد عن مدح الرموز الدينية والاجتماعية، مفضلًا التعبير عن رؤاه الذاتية العميقة.

ثالثا: مدح العلماء يشكّل مدح العلماء في الشعر العربي أحد المظاهر الراسخة في تقاليد القصيدة الكلاسيكية، وقد جاء هذا المدح تعبيرًا عن التوقير والإجلال الذي حظي به العلماء والمفكرون والمثقفون في الوعي الجمعي العربي، لا سيّما أولئك الذين جمعوا بين العلم والتقوى، وبين الحكمة وخشية الله.وقد تميزت نصوص هذا الغرض الشعري بالإشادة بمن اتّخذوا من العلم رسالة، ومن التقوى منهجًا، فغدت قصائد المديح فيهم احتفاءً بالموقف الأخلاقي، لا بمجرد المعرفة المجردة، ولذا فإن مدح العلماء، في السياق الشعري العربي، لم يكن مدحًا وظيفيًا أو شكليًا، بل كان مشروطًا بصفاء النية، وعلو المقصد، وانخراط العالم في نصرة الحق، والتصدي للجهل والانحراف.وفي العصور الإسلامية، على وجه الخصوص، اقترنت صورة العالِم في الشعر بسمات النبل والوقار، وارتفعت منزلته بوصفه حاملًا لأمانة العلم، ومقومًا لاعوجاج الأمة، وهكذا غدا الشعر في هذا الباب صورة من صور التقدير الرمزي، الذي يعكس وعي الشاعر بمكانة المعرفة في صناعة الحضارة، ويكرّس رؤية جمالية وأخلاقية تُعلي من شأن العلماء بوصفهم أمناء الرسالة العقلية والروحية للمجتمع[١٤]من الشعراء الذين تناولوا مدح العلماء في شعرهم، الشاعر الأندلسي ابن زيدون، وقد عبّر عن إعجابه بالعالم الجليل ابن حزم في قصيدته الطائر المبكر، حيث أبرز مكانته العلمية وفضله، مؤكدًا احترامه للعلم والعلماء ضمن أسلوب شعري رفيع[١٥]من مظاهر الاحتفاء بالعلم والمعرفة في الشعر العربي، ما نجده لدى عدد من الشعراء الذين مدحوا العلماء وأعلوا من شأنهم، فقد أشار طرفة بن العبد، في شعره الجاهلي، إلى تقديره لأصحاب الحكمة والعقل، كما كتب ابن رشيق القيرواني، في أندلس العصر الوسيط، قصائد امتدح فيها علماء زمانه، مؤكدًا دورهم في ازدهار الحياة الفكرية.وفي العصر الحديث، عبّر أحمد شوقي عن إعجابه العميق بالعلماء والمفكرين، مشيرًا في أكثر من موضع إلى أثرهم الإيجابي في تقدم المجتمع، وبهذا، يُعد مدح العلماء في الشعر العربي امتدادًا لتقاليد ثقافية أصيلة، تُجسّد الاحترام العميق للعلم، وتُبرز المكانة الرفيعة التي احتلها العلماء في الضمير العربي[١٦]،مديح الأبيوردي[١٧]الوزن: بحر الطويل، الروي: ميم، ميمية.

فديتك قد أسمعتني متجرما نداء عليه للحفيظة ميسم

وأن هماما من أمية ضامني ليعفو عن الجاني المسيء ويحلم

أعد نظرة فيما أقول ولم أكن — كذي العر يكوي غيره وهو يسلم

أعيذك بالحلم الذي أنت أهله — وأنك أولى بالجميل وأكرم

وثنى باعتقادي في ولائك وارع لي — ذمام العلى إني بحبلك أعصم

فهب لي ما لم أجنه متكرما — فأنت بعذري إن تأملت أعلم

تُفتتح الأبيات بتعبير "فديتك"، الذي يُعد من الأساليب الإنشائية المشبعة بالعاطفة، ويعكس ما يكنّه الشاعر من حب وتقدير عميق للمخاطب، ويُحمّل هذا التعبير، في السياق، دلالة على استعجال الطلب، إذ يستبطن رغبة ملحّة يوشك الشاعر على الإفصاح عنها.ويستحضر الشاعر شخصية همّام بن غالب "الفرزدق"، رمزًا للعدل والتسامح، ليجعل منه معيارًا يُسقطه على المخاطب، في إشارة إلى تمنّيه أن يتحلّى المخاطب بتلك الصفات الرفيعة، ثم يُقحم ذاته من خلال صورة "العرّ" الذي يلقي بلهيبه على غيره، وهي استعارة تحمل دلالة الانفعال والاحتدام، لكنها مشذّبة بأسلوب راقٍ يضبط هذا الوجدان ضمن أطر حضارية منضبطة.ويأتي تعبير "أعيذك بالحلم"كدعاء مضمّن، يعكس رغبة الشاعر في أن يُقابل بما يليق من صبر وحكمة، وهو أسلوب بلاغي راسخ في الشعر العربي، يحمل في طياته نوعًا من التقديس للفضائل الأخلاقية، وتُستكمل الصورة بدعوة الشاعر للمخاطب بتحمّل "ذمام العُلى"، أي مسؤولية المكانة والفضل، في إشارة إلى قيمة العلاقة بينهما، وما تستوجبه من رفعة خُلقية ونُبل تعامل.يكشف الشاعر عن توازن دقيق بين عاطفة شخصية محتدمة، وصياغة شعرية تتوسل الرقي والبلاغة، مما يمنحه طابعًا كلاسيكيًا نابضًا بالحكمة والتوقير.على لسان بعض أهل الفقه[١٨]الوزن: المتقارب الروي: الباء، بائية،

لمثل معاليك تعلو الرقاب — ومن جودك الغمر يجنى السحاب

ومن نشوة الكرم المقتنى — لديك تجدد عهد الشباب

وما ضر جارك لو أنه — يحمد له الدهر ظفا وناب

أرى الدهر طوع يدي ماجد — رحيب الفناء ربع الجناب

يعلمه طربات الكرام — إلى مستميح عراق لباب

يلين له نبعتا دهره — بصدمة رأى يروض الصعاب

يشيد الطغرائي بشخصية ممدوحة تتجلّى فيها أسمى معاني الكرم والجود، موظفًا أدوات بلاغية تمنح المدح بُعدًا فنيًا رفيعًا، يستند إلى الاستعارة كما في "لمثل معاليك تعلو الرقاب"، ليجعل من الممدوح رمزًا للمهابة والعلو، تُطأطئ له الرؤوس طوعًا، ويُكثّف التشبيه حين يُقارن سخاءه بسيلٍ يتفجّر من الغيوم، دالًا على امتداد جوده واتساعه، ثم يربط الكرم بروح الشباب في صورة تنبض بالحيوية والتجدد.كما يبرز أسلوب التعجيز في قوله "وما ضرّ جارك..."، حيث يختبر الشاعر المروءة باعتبارها فعلًا أخلاقيًا لا يُنتظر عليه الثناء، ويعود إلى الاستعارة مرة أخرى، حين يصف الدهر بـ"ربع الجناب"، مشيرًا إلى رحابة الزمن أمام أفعال الممدوح، ويختم بتعجيز بلاغي آخر، حين يُظهر الممدوح كمن يروّض "نبعتا دهره"، أي صروف الزمان، بحكمة وضبط.في هذا البناء الشعري، لا يقدّم الطغرائي مديحًا تقليديًا، بل يُشيّد صورة مثالية للممدوح بوصفه نموذجًا أخلاقيًا ساميًا، تتكامل فيه الفصاحة بالفضيلة، والجمال البلاغي بالقيمة الإنسانية.في وصف الإمام القزويني بن المعافى[١٩]الروي: كاف، كافية الوزن: متقارب

لعمرك ما أغب عن فتور — بودك أو قصور عن هواكا

ولكني استنبت ضمير قلبي — لديك فصار لي عينا تراكا

ولو فتشت عن مكنون سري — نظرت فلم تجد فيه سواكا

فلا والله ما بي من سكزن — إذا ما كنت لا تقوى حراكا

تعكس الأبيات مشاعر محبة خالصة يكنّها الطغرائي للإمام القزويني، إذ تتجاوز العلاقة حدود الظرف لتستقر في وجدان الشاعر كقيمة راسخة لا تعتريها تقلبات، في قوله: "لعمرك ما أغب عن فتور بودك..."، يصرّح بولاء لا يتأثر بالفتور، مُعلنًا تمسكه بالود كخيار وجداني ثابت.وتتجلى الرهافة الشعورية في استعارة قلبه كعين لا ترى سواه: "استنبت ضمير قلبي لديك..."، في مشهد يلامس حدود الذوبان الوجداني، ويتقاطع مع صورة العاشق الذي يرى في الآخر مرآة لذاته، ويؤكد ذلك في قوله: "ولو فتشت عن مكنون سري..."، حيث يبلغ التماهي ذروته، إذ لا يرى في دخيلة نفسه سوى القزويني، في تعبير عن إخلاص مطلق وصفاء وجداني نادر.ويختتم الشاعر ببيت يعبّر عن اضطرابه في غياب الممدوح: "فلا والله ما بي من سكون..."، مشددًا على العلاقة الروحية التي تتجاوز المدح إلى التعلّق الحقيقي، إن هذه الأبيات ترسم مديحًا وجدانيًا عميقًا، يقوم على التقدير الروحي والوفاء العاطفي، لا على المصلحة أو المجاملة.

رابعا: في الحكمة يرجع أصل مصطلح "الحكمة" إلى الجذر اللغوي (ح ك م)، الذي يدور في معانيه حول المنع والضبط والإتقان، وقد ورد في العربية القديمة بمعانٍ مثل "احكموا سفهاءكم" للدلالة على الكفّ المقترن بالضبط الأخلاقي، و"استحكم الأمر" للدلالة على التمكّن والرسوخ، ما يمنح المصطلح بعدًا قيميًا يشمل الانضباط والقوة المنظّمة."[٢٠] " تتسع أفعال الجذر (ح ك م) مثل "حكم" و"أحكم" و"حكّم" لتدل على فعلٍ منضبط يجمع بين الردع الواعي والسيطرة المنظمة، في سياق لا ينفصل عن المعنى الأخلاقي والمعرفي، مما يعكس البنية المركبة للمصطلح، حيث تنسجم الدلالة اللغوية مع وظيفته الفكرية في ضبط الفعل ضمن أفق من الحكمة والتدبير، "[٢١] الحكمة، في جوهرها، علم نافع وعمل راشد، وقد عرّفها الفلاسفة بأنها إدراك الحقائق على ما هي عليه، وتقدير الأشياء في مواضعها، هذا المعنى يجعلها أقرب إلى العلم العملي منها إلى المعرفة النظرية، حيث تقترن بالحُسن والملاءمة والتوازن، فتغدو قيمة تنظيمية وأخلاقية تتجاوز الإدراك المجرد.[٢٢]منذ الجاهلية، احتل الشعر العربي موقعًا مركزيًا في تجسيد الحكمة، لا بوصفها وعظًا مباشرًا، بل كفكرة فنية تتلبّس البنية الشعرية، وتعبّر عن رؤية فلسفية للوجود، فالحكمة في الشعر تُصاغ في صور مركّبة تجمع بين الجمال التعبيري والعمق التأملي، لتكون مرآةً لوعي الإنسان العربي وتطلّعه إلى فهم الحياة والكون.[٢٣]الحكمة في الشعر ليست طارئة، بل متجذرة في نسيج الثقافة العربية، وقد تطورت لتشمل موضوعات متنوّعة تمسّ الإنسان والدين والوطن والفكر، ولم تبقَ حكرًا على النخبة، بل امتدت إلى الوعي الجمعي، متجلية في الممارسات الشعبية والأمثال والأناشيد، مما أكسبها بُعدًا اجتماعيًا وثقافيًا، وجعل من الشعر أداة لترسيخ الهوية والوعي الأخلاقي في المجتمع العربي.[٢٤]يمثل الشعر العربي في تمثلاته الجمالية والفكرية أداة رفيعة للتعبير عن التجربة الإنسانية، وقد شكّل مرجعًا ثقافيًا ملهمًا عبر العصور، وتُعدّ الحكمة فيه تجليًا راقيًا للجمال الأدبي والمعرفي، لما تحمله من دلالات أخلاقية وروحية تعبّر عن عمق الحضارة العربية، ويتميّز شعر الحكمة بتركيزه على الخلاصة الوجودية لتجربة الشاعر، يُقدّمها بلغة مكثفة وصور محكمة، تحمل توجيهًا سلوكيًا وقيميًا، لا سيما في ما يتصل بالبعد الديني والسعي نحو الفضيلة.[٢٥]اعتمد شعراء الحكمة في بنائهم الفني منهجين أساسيين: الأول يتمثل في تخصيص القصيدة للحكمة والتأمل في شؤون الحياة وصروف الدهر، والثاني يتمثل في إدماج أبيات حكَمية ضمن سياقات شعرية أخرى كالمديح أو الرثاء، حيث تبرز الحكمة عارضة لكنها مشحونة بالمعنى والرمزية.ويمثل شعر الحكمة جنسًا شعريًا يمزج بين جزالة التعبير وعمق الفكرة، حيث تُقدَّم المواعظ في قالب فني مؤثر يستنهض الوعي الأخلاقي والفلسفي، فهو خطاب يخاطب العقل والوجدان معًا، محرضًا على التأمل في مصير الإنسان، وسلوكياته، وفاعليته في عالم يتقلب بين الثبات والتحول.وتاريخيًا، يمتدّ أصل الشعر الحكمي في الثقافة العربية إلى العصور الجاهلية وما قبلها، حيث كان يُوظّف بوصفه وسيلة لتربية الجماعة، ونقل التجربة الفردية إلى الوعي الجمعي، وقد عالجت هذه الأشعار قضايا السلوك، والفضيلة، والعقلانية، فكانت أشبه بمرآة أخلاقية تعبّر عن نظرة العربي إلى الحياة والكون، في سياق لغوي مشبع بالحكمة والتجربة.[٢٦]

يتميّز الشعر الحكمي بقدرته الفائقة على توظيف المجاز والاستعارة والتشبيه توظيفًا فنيًا دقيقًا، يُضفي على المعنى طابعًا جماليًا وعمقًا دلاليًا، إذ تُصاغ الحكم في هذا النوع من الشعر بأسلوب متماسك ومكثّف، يثير الانتباه ويترك أثرًا عميقًا في نفس المتلقي، وتُستخدم اللغة الشعرية هنا لا باعتبارها أداة للتزيين فحسب، بل كوسيلة للتأمل الفلسفي والتفكّر المعرفي، حيث تُصبح الكلمة الشعرية حاملةً للحكمة ومُفعَمةً بطاقة إيحائية تُحرّك العقل والوجدان في آنٍ معًا [٢٧]يُعد الشعر الحكمي أحد الأنساق البارزة في الشعر العربي، ويتجلى في كل من الشعر الكلاسيكي والمعاصر، ومن الشعراء الذين عُرفوا بهذا اللون، الشاعر العراقي الشيخ محمود الشحات، الذي امتاز شعره بالحكمة والعمق، وكذلك الشاعر اللبناني جبران خليل جبران، الذي عبّر عن رؤى فلسفية وإنسانية بأسلوب رمزي وجمالي، وقد اجتمع في شعرهما التأمل والمعنى، فجاءت حكمتهما نابعة من تجربة حياتية وفكرية عميقة.

خامسا: حول معاني الحياة والموت والمشيب الحياة والموت من أبرز الثنائيات التي شغلت وجدان الشعراء العرب عبر مختلف العصور، لما تمثله من جوهر التجربة الإنسانية ومجال للتأمل العميق في الوجود، وقد أولاها الشعراء، منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، اهتمامًا خاصًا بوصفها ركيزتين لصوغ الرؤية الشعرية والفكرية، فالحياة في الشعر العربي ليست مجرد واقع معاش، بل مصدر إلهام يتجلى في مظاهر الفرح والمحبة والأمل، وفي مواجهة تحديات الوجود، مما أضفى على القصيدة بعدًا تأمليًا يعكس عمق التجربة الإنسانية.أما الموت، فقد احتل موقعًا مركزيًا في الشعر العربي، لا باعتباره خاتمة للوجود فقط، بل كعتبة عبور نحو المجهول والمطلق، تناول الشعراء هذا الموضوع بأساليب متباينة؛ تارةً بوصفه تجربة فاجعة تستبطن الألم والفقد، وتارةً أخرى كإشراق فلسفي يجسد الخلاص الروحي والبداية الجديدة، وقد منح هذا التنوع رؤيتهم للشعر أبعادًا فلسفية وإنسانية عميقة، عبر لغة مكثفة تنبض بالإحساس الوجودي.[٢٨]من خلال جدلية الحياة والموت، تعبر القصيدة العربية عن التجربة الإنسانية في أوسع آفاقها، موحدةً بين الشعري والفلسفي، وبين الذاتي والرمزي، فالشعر لا يعزل الموت عن الحياة، بل يوحد بينهما ضمن رؤية وجودية متكاملة، تجعل من النص الشعري سجلًا حيًا لرؤى الشعراء وتجاربهم، وتعمّق وعي الإنسان بالعلاقة الجدلية بين الفناء والبقاء، بوصفها سر الوجود الإنساني على الأرض..[٢٩]في شعر الحكمة، تُطرح ثنائية الحياة والموت ضمن منظور فلسفي عميق، يكشف عن جدلية الوجود والفناء بوصفهما عنصرين متكاملين في التجربة الإنسانية، فالموت لا يُقدَّم كقاطع للوجود فحسب، بل كامتداد طبيعي للحياة ونقطة اكتمال تأملية، ويُبرز شعراء الحكمة الطابع المؤقت للحياة، مذكرين بزوالها ومؤكدين حتمية الموت، الذي تتساوى أمامه المراتب، مما يجعل التأمل في المصير والسلوك الأخلاقي جزءًا أساسًا من بنية الشعر، لا بوصفه رثاءً، بل بوصفه مصدرًا للمعرفة والاتزان الروحي.[٣٠]بالمقابل، تُصوَّر الحياة في شعر الحكمة برؤية إيجابية تحتفي بقيمتها وجمالها، داعية إلى اغتنام لحظاتها وتأمل مفاتنها، بوصفها نعمة تستوجب الشكر وفرصة للفرح والمعنى، فالحياة، في هذا السياق، تُقدَّم كمساحة للخبرة الإنسانية الواعية لا كعابر زائل فحسب.[٣١]تُفهم الحياة والموت، في شعر الحكمة، بوصفهما طرفين لدورة وجودية متكاملة؛ إذ لا تكتمل الرؤية لأحدهما إلا بحضور الآخر، فالموت يضفي على الحياة وعيًا بالزمن وقيمة للوجود، مما يدفع الشاعر إلى الدعوة لاغتنام اللحظات الجوهرية والابتعاد عن التفاهات، وهكذا تتجلى الحكمة بوصفها دعوة إلى التوازن، والصفاء، وعيش الحياة بوعي يتجاوز ظاهرها العابر، ومن النماذج الدالة على هذا التوجّه قوله[٣٢]الوزن: البسيط الروي: راء، رائية

هذا الصغير الذي وافى على كبري	أقر عيني ولكن زاد في فكري
وافى وقد أبقت الأيام في جسدي	ثلما كثلم الليالي دارة القمر
والشيب أردف مسودا بمشتغل	والدهر أعقب منصاتا بمستطر
سبع وخمسون لو مرت على حجر	لبان تأثيرها في صفحة الحجر
فزاد حرصي على الدنيا وجدد لي	ضنا بمالي وإشفاقا على عمري
أضوى عليه وأخشى أن يعاجلني	يومي ولم أقض من تشريحه وطري"

تعالج الأبيات موضوع الزمن بوصفه فاعلًا مركزيًا في تشكيل التجربة الإنسانية، جسديًا ونفسيًا، يستهلّ الشاعر بنقل صورة ذاته في مرحلة الطفولة، حيث تبدو البراءة مقترنة بجهل الحياة، ثم يرصد التحوّل التدريجي في الوعي مع توالي التجارب، مشيرًا إلى العلاقة الجدلية بين الزمن والنضج العقلي، فمرور الأيام لا يُراكم الأعمار فحسب، بل يُنضج الرؤى ويُشكّل الذات.ثم ينتقل إلى تصوير الأثر الجسدي للزمن، عبر تجاعيد الوجه والشيب، مُوظفًا استعارة القمر الذي تنقش الليالي على سطحه ندوبها، ليوازي بذلك بين الجسد الإنساني وتقلبات الطبيعة، ويبلغ التصوير ذروته حين يُجسّد الشيب بوصفه علامة على التحول من فتوة الجسد إلى حكمة العقل، في مجاز شعري يُفصح عن رؤية وجودية عميقة ترى في الزمن محفّزًا للتأمل، لا مجرد عبور عابر، وبهذا، تتحوّل الصور الشعرية إلى مرآة لفلسفة الشاعر في فهم الحياة، والزمن، والذات المتغيرة، وله نموذج آخر يقول[٣٣]

أفنى الليالي شبابي	وغادرتني لما بي
وخلفتني وحيدا	فأسرعت في صاحبي

ومسني من أذاها	ما لم يكن في حسابي
ولم تدع لي رأيا	في صبوة أو تصابي
لا لذة في سماعي	ولا هوى في شراب
ولا بانة عيش	عند الفتاة الكعاب
يا طائرا عاش حينا	في معمر من جنابي
فكايدته الليالي	في وكره بالخراب

تتناول هذه الأبيات تجربة الإنسان الوجودية، مسلطة الضوء على التحولات التي تعتريه في مسار حياته، يبدأ الطغرائي بتصوير الإنسان في مرحلة الطفولة، حيث يبدو صغيراً قليل التجربة، ثم يتطرق إلى الأثر العميق الذي يُحدثه الزمن ليس في الجسد فحسب، بل في الفكر والخبرات أيضًا، ومع تقدم العمر، تتشابك رمزية الشيب مع تعقيدات الحياة ومشكلاتها، وتتراكم الأعوام محملةً بآثارها النفسية والروحية.يبرز الشاعر عبر هذه الصور أن الزمن يمضي، إلا أن آثاره تظل منقوشة بعمق في الوعي والذاكرة الإنسانية، ونتيجة لذلك، تتغير اهتمامات الإنسان وتتبدل أولوياته، ليصبح أكثر حرصاً على الحياة وتجديد علاقته بها، وعلى رأس ذلك الحفاظ على الصحة والعافية.وفي نهاية الأبيات، تتضح رؤية الشاعر المتوجسة من الموت واحتمالية ضياع الفرص، رغم وضوح طريق النجاح أمامه، لذا فهو يدعو صراحةً إلى استثمار الوقت، والمبادرة نحو الإنجاز، واستغلال كل لحظة ممكنة في سبيل تحقيق الأحلام والطموحات قبل فوات الأوان.سادسا: في ثنائية الحلم والجهل يشير مفهوم "الحِلم" في السياق الشعري إلى فضيلة أخلاقية تتجلى في ضبط النفس وكبح جماح الغضب، وهي حالة من الاتزان الداخليّ يتمكن فيها الفرد من السيطرة على انفعالاته في مواجهة الاستفزاز أو الغضب، في المقابل، يُمثّل مفهوم "الجهل" الحالة النقيضة تمامًا، حيث يفقد الإنسان قدرته على التحكم والسيطرة، فتتغلب عليه العواطف والانفعالات السلبية، فيتصرف دون وعي أو تبصر، ومن هنا، فإن توظيف الشاعر لمفهومي الحلم والجهل إنما يُعبّر عن ثنائية أخلاقية رمزية تكشف عن تباين واضح بين التروي والعقلانية من جهة، وبين التهور والتسرع والاندفاع العاطفي من جهة أخرى، وهي ثنائية شاع استخدامها في الشعر العربي القديم لتعميق الأبعاد النفسية والأخلاقية للنصوص.[٣٤]يشكّل مفهوما الحِلم والجهل حقلًا دلاليًا بارزًا ومتكررًا في الشعر العربي، لا سيما في سياقات الحكمة والتأمل الفلسفي، إذ يُستخدم هذان المفهومان للتعبير عن ثنائية متقابلة تكشف عمق الرؤية الشعرية لطبيعة الحياة الإنسانية، ويأتي التعبير عن هذه الثنائية بلغة شعرية فلسفية تؤكد على قيمة المعرفة والتعلم بوصفهما وسيلتين جوهريتين لتحقيق حياة متزنة وسعيدة، كما تبرز في المقابل ما يؤدي إليه الجهل من آثار سلبية على الفرد والمجتمع، باعتباره سببًا رئيسًا للعديد من المشكلات والأزمات.وفي إطار شعر الحكمة، يوظَّف مفهوم الجهل على نحو رمزي للإشارة إلى حالة التخلف الفكري وضيق الأفق وقلة الوعي، وهي الحالة التي تقود إلى العجز والفشل في مواجهة تحديات الحياة، وبالمقابل، يُعبَّر عن الحِلم بوصفه دلالة رمزية إيجابية، تجسد الرغبة الدائمة في التحسين والتطوير الذاتي، إذ يشكّل الحِلم قوة دافعة تحثّ الفرد على بلوغ الأهداف والطموحات، فضلًا عن كونه رمزًا للأمل والتطلع نحو مستقبل أفضل.ومن هذا المنظور، فإن الثنائية بين الحِلم والجهل تعبّر عن تقابل وجودي يعكس حالتين متناقضتين في الواقع الإنساني؛ فبينما يجسد الحِلم الوعي والقدرة على ضبط الذات والسعي نحو المعرفة والكمال، يجسد الجهل حالة من التراجع والانغلاق الفكري والعجز عن مواجهة تحديات الواقع، هكذا، تجسّد هذه الثنائية عمقًا دلاليًا يبرز رؤية الشعر العربي للوجود الإنساني في أبعاده المعرفية والأخلاقية والاجتماعية.يشكّل مفهوما الحِلم والجهل بُعدين رمزيين بارزين في الشعر العربي، يتم توظيفهما بصورة عميقة وذات دلالة للتعبير عن واقع الإنسان وطموحاته وتحدياته، فعلى صعيد مفهوم الحلم، يَظهر بصفته فضاءً تعبيريًا جماليًا وشاعريًا يتيح للشاعر فرصة تجاوز قيود الواقع، والهروب نحو عوالم مشرقة تتحقق فيها الأمنيات والتطلعات، وهنا يلجأ الشعراء إلى لغة تصويرية عالية، يستعينون فيها بالمجاز والاستعارة والصور الشعرية لتعزيز جمالية الحلم، والتأكيد على قيمته بوصفه مصدرًا للإلهام والتحفيز، ودلالة على الإرادة والتصميم لتحقيق الأهداف والطموحات.في مقابل ذلك، يستخدم الشعراء العرب مفهوم الجهل كرمز للتخلف والغموض، وقلة المعرفة، فيُبرزون من خلاله آثار هذه الحالة على الفرد والمجتمع، وتظهر القصائد التي تعالج هذا المفهوم مشحونة بدلالات سلبية وصور سوداوية، تسلط الضوء على التداعيات الخطيرة التي يولّدها الجهل على المستويين الاجتماعي والفردي، ومن خلال هذا النقد، يُقدّم الشاعر رسالة عميقة تحث على أهمية المعرفة والتنوير، وعلى ضرورة السعي للتخلص من هذه الحالة السلبية.هكذا، تتحقق في

الشعر العربي ثنائية الحلم والجهل بوصفهما أداتين تعبيريّتين متقابلتين تعكسان تعقيد الحياة الإنسانية وتناقضاتها، ومن خلال توظيفهما معًا، يقدّم الشعر العربي رؤية شاملة للواقع الإنساني، مصوّرًا الصراعات والتحديات التي يواجهها الفرد في مسيرته نحو تحقيق ذاته وأحلامه، ومؤكدًا على قيمة التعلم والوعي والتنمية الذاتية بوصفها شروطًا أساسية للتقدم والنجاح وتجاوز الفشل والإخفاق.وعليه، يُمكن القول إن الشعر العربي يمثل مصدرًا غنيًا لدراسة مفهومي الحلم والجهل، لِما يتضمنه من أبعادٍ فلسفيةٍ وجماليةٍ عميقةٍ، تُبرز أهمية الاستمرار في التعلم والسعي نحو تحقيق الأهداف والطموحات الإنسانية، وتجاوز مظاهر الجهل والتخلف والقصور، قوله[٣٥]

وإن بدل الأيام بؤسي بنعمة فلا تنكري ما استبلدت وخذيه

ولا تيأسي من روح ربك إنه متى تستحقي روحه تجديه

ولا تجزعي من ذم غاو وحاسد فأهون مأثور كلام سفيه

يعار الفتى المجدود وشر خصاله ويغتاب بالغيب الذي بأخيه

ألم تر أن الناس أبناء دهرهم وكلهم في فعلهم كأبيه

فإن غدرت بالحر يوما بناته ذاك قليل من كثير بنيه

تتناول هذه الأبيات موضوعًا أخلاقيًا وإنسانيًا يُصاغ بأسلوب النصح والتحفيز، موجهًا لمن يواجه صعوبات الحياة وتحدياتها، يؤكد الشاعر الطغرائي فيها على أن الحياة متغيرة، مليئة بالتقلبات، لكنّه يُشدد على أهمية تذكُّر النعم، والتمسك بالأمل والتفاؤل برحمة الله وانتظار الخير رغم الظروف الصعبة.كذلك يدعو الشاعر إلى تجنب الإساءة اللفظية أو مجاراة السفهاء في سوء القول والفعل، معتبرًا ذلك سلوكًا عديم الجدوى، كما يؤكد على ضرورة تجاهل من يحاول إيذاء الآخرين بالكلام، وفي الختام، يسلّط الضوء على عدم جدوى الندم بعد ارتكاب الأخطاء، ويركّز على قيمة الوفاء بالثقة والأمانة باعتبارها فضيلةً أخلاقية أساسية لا يمكن التساهل فيها.بهذا، تعكس الأبيات رؤية الشاعر الأخلاقية والإنسانية في مواجهة الواقع، وتعزز القيم النبيلة التي ينبغي الالتزام بها لتجاوز العقبات وتحقيق حياة متوازنة، وفي ذلك[٣٦]

أما الزمان ففي تنبيه عظة لو لا الغشاوة في أجفان مسبوت

عصراه قد أصدرا تأكيد سحرهما فيه شماتة مكبوت بمكبوت

ولا تخص بمقت بعض سيرته فليس في الدهر شيء غير ممقوت

قالوا حظي ومحدود ولو نظروا رأوا تشابه محدود ومخبوت

أما رأيت حظوظ الدهر قد عكست فالماء للضب والرمضاء للحوت

فاقنع من الدهر بالميسور تحض به فلا خلاق لما اربي على القوت

يتناول الشاعر في هذه الأبيات علاقة الإنسان بالزمن من منظور تأملي أخلاقي، حيث ينبّه إلى ما ينطوي عليه الزمان من عِبر، غالبًا ما يغفل عنها الناس بفعل التعود والهوى، فالزمن، في رؤيته، ليس مجرد حركة ميكانيكية، بل حامل لرسائل باطنة لا يدركها إلا من يمتلك بصيرة مفتوحة على المعنى، لكن العيون المحجوبة تظل عاجزة عن التفاعل مع حكمة الحياة.ويعرّج الشاعر على نقد ظاهرة اجتماعية متكررة: الشماتة بمصائر الآخرين عند تقلب الأحوال، فيُقدّم تحذيرًا أخلاقيًا من التشهير أو التفاخر، مؤكدًا أن الزمن لا يثبُت على حال، وأن مصائر الناس في تقلب دائم، كما يشير إلى أن تفاوت الحظوظ، وإن بدا صارخًا، هو في حقيقته خاضع لتقدير إلهي لا يُدركه كل أحد، ما يدعو إلى التأمل بدل الحسرة.ويختم الشاعر رؤيته بالتشديد على قيمة القناعة، داعيًا إلى السعي المتزن وراء الرزق مقرونًا بالإيمان بأن الله هو المدبّر، وبهذا، ترسم الأبيات معالم فلسفة حياتية أخلاقية، تؤسس لتوازن دقيق بين الطموح والرضا، وتُجسّد وعيًا شعريًا يربط التجربة الفردية بحركة الزمن وسنن الوجود، وقال[٣٧]

نأبى صروف الليالي ان تديم لنا حالا فصبرا إذا جاءتك بالعجب

إن كان نفسك قد منتك كاذبة دوام نعمي فلا تغتر بالكذب

أو خيبتك لدى البأساء من فرج تذيل منها فكذبها ولا تخب

تُجسّد الأبيات في مطلعها موقفًا وجوديًا متأمّلًا، يُفصح فيه الشاعر عن رفضه لاستمرار الليالي المظلمة التي تثقل كاهله، موجّهًا خطابه إلى ذاته والآخرين بدعوة للصبر في مواجهة مفاجآت الحياة وتقلباتها، ويُحذر من الاغترار بمظاهر النعمة، حين تكون مبنية على أوهام النفس وافترائها، مؤكدًا أن دوام النعمة وهمٌ لا يصمد أمام سنن الحياة، ما لم يُؤسس على الصدق والحق.وفي البيت الختامي، يتجلّى البعد الأخلاقي والإنساني للقصيدة، إذ يحثّ الشاعر على التمسك بالصبر وتجاوز مشاعر الإحباط في مواجهة الخسائر، داعيًا إلى التعلّم من المحن لا الهروب منها، ومؤكدًا أن الصدق في التعامل مع الألم هو السبيل الأصدق إلى النضج والتجاوز، وبذلك تتحول الأبيات من مجرّد بوح ذاتي إلى تأمل شعري يحمل قيمًا إنسانية عميقة، ويُعبّر عن رؤية فاحصة لعلاقة الإنسان بالزمن والمحنة والنفس.

النتائج

المديح الديني عند الطغرائي ليس مديحًا طقوسيًا، بل خطاب روحي يستبطن رؤية عقدية عميقة:

أظهرت الدراسة أن الطغرائي لم يتعامل مع المدائح الموجهة إلى الأئمة والشخصيات الدينية بوصفها غرضًا تقليديًا، بل صاغ من خلالها بنية تعبيرية مشبعة بالإيمان، تنزع إلى تصوير الممدوح كرمز قدسي يتماهى مع القيم الإسلامية الكبرى، مثل العدل، والإيثار، والاستقامة، فقد جاء مديحه للأئمة تعبيرًا عن ولاء عقدي وروحي، يتجاوز الإطراء إلى تشكيل صورة مثالية للقدوة الأخلاقية في الإسلام.

يتكامل في شعر الطغرائي البُعد الأخلاقي مع النزعة التأملية، ضمن بنية لغوية مشحونة بالحكمة والصدق

كشفت التحليلات أن الطغرائي يوظف الاتجاه الديني بوصفه وسيلة للتأمل في المصير الإنساني، والوجود، والعدالة الإلهية، ويعتمد في ذلك على لغة شعرية مُحكمة، تختزل التجربة الروحية وتحمل طاقة وجدانية عالية، ويظهر ذلك في كثرة توظيفه للثنائيات الأخلاقية مثل (الحلم/الجهل)، (الإيمان/الخذلان)، والتي يضمنها أبياته بصيغة بلاغية توازن بين الانفعال الداخلي والاتزان العقلي.

يحضر الدين في شعر الطغرائي بوصفه تجربة داخلية لا وصاية خطابية:

الطغرائي لا يتحدث عن الدين من خارج التجربة، بل ينطلق من معاناة شخصية وانشغال وجداني، تُعبّر عنه قصائده بوصفها تجليًا للحوار الداخلي مع الله، والذات، والقدر، فهو لا يقدّم خطابًا وعظيًا مباشرًا، بل يعبر عن شعور صادق بالحيرة والرجاء، واليقين والتجربة، ما يضفي على شعره طابعًا صوفيًا مضمَرًا، يتجلى في لغته المشحونة بالرمز، والتمثيل، والصور الإشارية.

الزمن والموت والتوبة ثيمات دينية مركزية في شعره، تشتغل بوصفها بنيات دلالية لا محاور سطحية:

كشفت الدراسة أن الطغرائي يجعل من الزمن كيانًا تراجيديًا يُعيد تشكيل علاقة الإنسان بالدنيا والآخرة، ويُحمّل هذه الرؤية بُعدًا دينيًا يظهر في دعوته إلى التوبة، والرضا بالقضاء، والقناعة، كما أن تناوله لفكرة الموت يأتي بوصفه بابًا للنجاة لا مجرد نهاية، مما يجعل من القصيدة فضاءً تأمليًا يجمع بين الزهد والفزع المقدّس والحنين إلى الخلاص.

وظّف الطغرائي الموروث القرآني والحديثي توظيفًا غير مباشر يُثري الإيحاء ولا يثقل النص بالمرجعية:

لم يعتمد الطغرائي على الاقتباس المباشر من النصوص المقدسة، بل استلهم روحها في تشكيل رؤيته الشعرية، وقد دلّت التحليلات على استدعائه للبنية الإيقاعية والبلاغية للنص القرآني، خاصة في التوازن بين الصور، وتكرار البنية التركيبية، وإحكام الجمل، وهو ما يعكس تداخلًا عميقًا بين التكوين الديني والتشكيل الجمالي.

أعاد الطغرائي إنتاج المدح في إطار ديني يخلو من النفاق السياسي ويحتفي بالقيم العليا:

على عكس كثير من شعراء عصره، لم يجعل الطغرائي من المدح وسيلة للارتزاق أو التقرب إلى السلطة، بل وجّهه نحو شخصيات دينية تمثل في نظره رموزًا للحق والعدل، فقدّم مدائحه في الأئمة والعلماء والشيوخ بوصفها فعل وفاء وانتماء، لا مجرد تبجيل، فامتاز شعره بالصدق، والاعتدال، والابتعاد عن المبالغات الكاذبة.

تجلّت البنية الموسيقية في شعره كوسيلة لتعميق البُعد الروحي والانفعالي، لا مجرد تزيين شكلي:

اعتمد الطغرائي على بحور شعرية رصينة (كالطويل والكامل) تتناغم مع موضوعاته الدينية، مما منح القصيدة بُعدًا سمعيًا مؤثرًا يعزز من وقْع المعنى الديني في وجدان المتلقي، وقد وظّف التكرار، والتوازن الإيقاعي، والجناس، لتحقيق تناغم داخلي بين المبنى والمعنى.

الاتجاه الديني في شعر الطغرائي ليس عارضًا، بل بنية راسخة تمثل جوهر تجربته الشعرية والفكرية:

أثبتت الدراسة أن هذا الاتجاه لا يظهر في قصائد معزولة، بل يتغلغل في مختلف مستويات القول الشعري عند الطغرائي، سواء في المدائح أو الحكم أو التأملات، مما يدل على أن الدين عنده ليس غرضًا شعريًا عرضيًا، بل رؤية كونية شاملة تحكم علاقته بالعالم واللغة والذات.

المصادر والمراجع

• لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، الحاشية اليازجي، بيروت: دار الصادر، ١٩٥٦م.

• تهذيب اللغة، أبي منصور محمد إسماعيل الأزهري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م.

• خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تح، عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٧م.

• الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، عباس الجراري، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.

• التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدين، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٨م.

• فقه اللغة مفهومه، موضوعاته، قضاياه، محمد ابراهيم الحمد، رياض: دالا خزيمة، ٢٠٠٩م.

• معجم متن اللغة، أحمد رضا، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٥٩م.

• أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام، ورود وليد حمود الصراف، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥م.

• معجم قبائل العرب القديمة، عمر رضا كحالة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.

• المدائح النبوية في الأدب العربي، زكي مبارك، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٩٣٥م.

• الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، عبد المجيد محمود، القاهرة: مكتبة الخانجي، د، ت.

• البنيات الأسلوبية في ديوان الموت في الحياة لعبد الوهاب البياتي، ألياس مستاري، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في النقد الأدبي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٠م.

• المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات، وآخرون، القاهرة: دار الدعوة، ٢٠١٠م.

• غرائب القرآن وغرائب الفرقان، نظام الدين القمي النيسابوري، تح، زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.

• تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد هيكل، القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٤م.

• الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي، نوف بنت محمد علي يماني، رسالة ماجستير، د، ت.

هوامش البحث

---

[١] المدائح النبوية في الأدب العربي: ص ١٧

[٢] الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه: ص ١٤١

[٣] تطور الأدب الحديث في مصر: ص ٢٩٧

[٤] المدائح النبوية في الأدب العربي: ص ١٧

[٥] الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه: ص١٤٢

[٦] المدائح النبوية في الأدب العربي: ص ١٨

[٧] الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه: ص ١٤٢

[٨] دراسات في الشعر العراقي الحديث: ص ٤٣

[٩] الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه: ص ١٤٤

[١٠] خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ج٤، ص ٣١٩

[١١] الطغرائي، ١٣١

[١٢] معجم قبائل العرب القديمة: ج ٢، ص ٦٤٨

[١٣] معجم قبائل العرب القديمة: ج ٢، ص ٦٤٨

[١٤] كتاب الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري: ص ٢٧

(١٥) دراسات في الشعر العباسي: ص ٩٣

(١٦) *المديح*: ص ٨

(١٧) ديوان الطغرائي: ص ٨٧

(١٨) ديوان الطغرائي: ص ١٨

(١٩) ديوان الطغرائي: ص ٨٧

(٢٠) *العين*: ج ٣، ص ٦٦

(٢١) *تهذيب اللغة*: ج ٤، ص ١١١

(٢٢) غرائب القرآن وغرائب الفرقان: ج ١، ص ٢٣٧

(٢٣) المعجم الوسيط: ص ١٩٠

(٢٤) الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي: ص ١٩

(٢٥) أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام : ص٢٠

(٢٦) أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام: ص ٥٠

(٢٧) الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي: ص ١٩

(٢٨) أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمام: ص ٨٥

(٢٩) التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: ص ٨٣

(٣٠) البنيات الأسلوبية في ديوان الموت في الحياة لعبد الوهاب البياتي»: ص ٦٧

(٣١) التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه: ص ٨٥

(٣٢) ديوان الطغرائي: ص ٧٨

(٣٣) ديوان الطغرائي: ص٧٦

(٣٤) المفردات في غريب القرآن: ص ١٢٩

(٣٥) ديوان الطغرائي: ص ٦٩

(٣٦) ديوان الطغرائي: ص ٧٠

(٣٧) ديوان الطغرائي: ص ٧٥